

الرسول من قبل الحبيب محمد نوابه وهو الحبيب الهادى

سيدنا رسول الله ﷺ تختص بعثته بعموم رسالته، وشمول دعوته، فهو رسول المرسلين، ونبي النبيين، وروح لجميع الملائكة المقربين، ومرسل من الله عز وجل للجن والأنس وللعالمين أجمعين، من البدء للختام. وما كانت دعوات المرسلين إلى أمهم إلا باباً من دعوته، وجزءاً من رسالته، بحسب ما تتحملة قوى الناس والرسول في هذا العصر والوقت، وفي هذا الحيز الذى ظهر فيه بنى هؤلاء القوم ورسولهم.

فكان النبي - صلى الله وسلم عليهم أجمعين - يرسل إلى قومه خاصة. مثلاً سيدنا موسى عليه السلام قال في حقه الله: **(وَأَتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ)** (٢) - الإسراء) رسول لمن؟ لبني إسرائيل، أما ما حوهم ومن بعدهم من الأمم في زمانه فليس مكلف بأن يبلغ الرسالة إليهم. وسيدنا عيسى عليه السلام كان يقول: (إنما بعثت إلى خراف بنى إسرائيل الضالة) أى: رسول إلى بنى إسرائيل. وكل رسول أرسله الله في كتاب الله كان يبين في رسالته تخصيص دعوته في لأمته، ولذلك نجد قول الله: (وإذ قال فلان لقومه) يعنى اسم النبي لقومه.

وكذلك نجد في الزمن الواحد أكثر من رسول. مثلاً سيدنا إبراهيم في فلسطين، ومعه في الوقت ابن أخيه سيدنا لوط لقومه أيضاً في الأردن، وكان معه ابنه اسحاق وابن ابنه يعقوب، وكلهم مرسلون في وقت واحد، وكل واحد منهم إلى أمته، ولم يكلفه الله عز وجل بأن يبلغ الرسالة إلى أحد غير أمته، حتى أن سيدنا إبراهيم عليه السلام مع أنه أبو الأنبياء - ونحن نعلم من وقائع القرآن والتاريخ - أنه جاء إلى مصر، لكن هل كان له دعوة لأهل مصر إلى الإيمان؟ لا، لأنه غير مكلف بها، والرسالة الوحيدة العمومية إلى جميع البرية، هي رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

هذا الكلام بالنسبة للإنس ولكن لم يكلف أحد من السابقين بعالم الجن، وليس واحد منهم كلف بعالم الملائكة، ولا واحد منهم كلف بعمار العرش وحملته، لكن الرسول الذى أرسل إلى الناس وإلى غير الناس، الذى قال فيه ربه: **(وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا)** (٢٨)

- (سبأ).

فأصبحت دعوته شاملة وكاملة، وعامة إلى الخلق أجمعين. وكما أنه رسول لنا فهو رسول للمرسلين والأنبياء، لأنه هو وحده الذى يقول: (لا إله إلا الله) فقط، ليس إلا رسول الله، لكن السابقين واللاحقين لابد أن يقرن بها الرسول الذى بلغه عن الله، ونحن نقول: (لا إله إلا الله محمد رسول الله)، وكذلك سيدنا موسى يقول: (لا إله إلا الله محمد رسول الله)، وسيدنا عيسى يقول كذلك: (لا إله إلا الله محمد رسول الله)، وسيدنا إبراهيم: (لا إله إلا الله محمد رسول الله)، وسيدنا آدم، وجبريل، وميكائيل، وحملة العرش، والحفظة، كلهم يقولون: (لا إله إلا الله محمد رسول الله)، لأنه رسول المرسلين، ونبي النبيين.

هذا الكلام فى كتاب الله: (وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ - ما الواجب الذى عرفهم إياه رب العالمين؟ لتؤمننَّ به - يعنى لابد أن يؤمنوا به لأنه رسولهم - ولتنصرنَّه - المطالب لهم بهذه الدعوة هو الله بذاته، ولذلك - قَالَ أَفَرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَفَرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ) (٨١-آل عمران). يعنى كل رسول مطالب بأن يؤمن برسول الله ﷺ، لأنه رسول هذا النبي، وهو نبي هذا النبي، فهو رسول المرسلين ونبي النبيين. وهم كانوا فى مقام حكم دار، أو قائم مقام، أو نائب عام، أو محافظ بالنيابة، عن المصطفى ﷺ - إلى أمهم، لكن صاحب الرسالة وصاحب الدعوة هو رسول الله ﷺ.

ولذلك الدين عند الله دين واحد، ليس دين ادم ولا إسماعيل، (إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ) (١٩-آل عمران) دين واحد، وهم أنفسهم كانوا يوصون أبناءهم وذرياتهم وأتباعهم: (وَوَصَّىٰ وَوَصَّىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمْ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ) (١٣٢-البقرة).

هذا الدين هو الإسلام. ومن الذى جاء بالأسماء اليهودية أو نصرانية؟ هم الذين قالوا: (إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ) (١٥٦-الأعراف)، لأنهم عادوا إلى الله بعدما ترموا، وبعد ما سخطوا على قضاء

الله، وبعد ما أعلنوا الثورة على سيدنا موسى نبي الله عز وجل. والفئة الثانية هم الذين قالوا: **(قَالُوا إِنَّا نَصَارَى)** (٨٢-المائدة). وربنا لم يقل كذا أو كذا، كله عند الله مسلم، **(مَلَّةً أَيْبِكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلِ)** (٧٨-الحج).

إذن الدين الذى أرسله الله هو دين واحد، هو الإسلام، والنبي الذى أرسله هو نبي واحد، وهو المصطفى عليه أفضل الصلاة والسلام، وبعد ذلك كل استاذ من الأساتذة كان بمثابة نبي أو رسول يرسله الله بتخصص - بفرع بسيط - من الدين يبلغه لقومه.

كرسى الأخلاق والجالس عليه سيدنا لوط عليه السلام، لم تعجبه أخلاقهم **(أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ)** (١٦٥-الشعراء). ينهاهم عن اتيان الذكور، ويأمرهم بالزواج من الإناث. كرسى بسيط من رسالة سيدنا محمد ﷺ.

والذى كان تخصصه كرسى بسيط من مادة المعاملات مثل سيدنا شعيب عليه السلام، **(أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ)** (١٨١-الشعراء). دعوة في باب التعامل، أن يوفوا الكيل والميزان، وليس كل الكورس الذى هو في المعاملات، أبداً بل جزء منه. هذا أم الذى جاء به سيدنا محمد ومولانا رسول الله ﷺ؟ لكن هذا باب صغير جداً.

والذى كان أستاذاً في التوحيد، أى سيدنا نوح عليه السلام، كان كل دعوته يريد منهم أن يوحدوا الله، وليس أكثر من ذلك. لم يقل لهم صلاة ولا زكاة ولا حج ولا شئ، كل الذى يريده منهم أن يعبدوا الله، التوحيد، توحيد الله، وهو كان أستاذاً في علم التوحيد قبل مزيد التوحيد الذى نزل مع النبي ﷺ.

ومنهم من أعطاه الله عز وجل تدريس كيفية سياسة الرعية في المملك، سيدنا سليمان عليه السلام، جاء يعلمهم كيف يسوسوا الناس، فقال: **(وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ)** (٣٥-ص). المملك فقط، لأنه يعلم أن رسول الله ﷺ ليس له في المملك، فاختر هذه الجزئية - المملك - فلم يطلب ملكوتاً أو عناية، أو مقاماً محموداً، ولم يطلب إلا المملك فقط.

فكان كل نبي يبلغ جزءاً من رسالة رسول الله - ﷺ - إلى قومه، على حسب

اجتهادهم، وعلى حسب مواعين قلوبهم، حتى اكتملت البشرية، فجاء دين التمام على يد المصطفى عليه أفضل الصلاة وأتم السلام. ولذلك قال ﷺ - موضحا هذه الحثية - في فضيه الأخلاق: (إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق)، وضرب المثل فقال: (مثلى ومثل الأنبياء من قبلى كمثل رجل بنى دار، وبقي موضع لبنة فأصبح الناس يطوفون به ويقولون: ما أجمل هذا الدار لولا وضعت هذه اللبنة!! فانا اللبنة التي ختم الله عز وجل بها الأنبياء) لم يقل إنما جئت بمكارم الأخلاق، وإنما قال: جئت (لأتمم) حتى لا ينكر جهود السابقين من قبله، كل واحد منهم جاء بجزء، وإنما جاء ﷺ ليتم أو يزيد عليها، لا ينقصها، ما جاء لينقص الناموس، إنما جاء ليتمم الناموس على وفق ما اقتضته إرادة القدوس عز وجل.

فهو وحده رسول المرسلين، وإمام النبيين، والسيد الأعظم للخلق أجمعين، فى الدنيا ويوم الدين.

نسأل الله عز وجل أن يجعلنا فى الدنيا والآخرة من أهل معيته، وأن يحشرنا جميعا فى زمرة، وأن يسقينا جميعاً من حوضه الشريف، شربة هنيئة مريئة لا نظماً بعدها أبداً، نحن وأولادنا وزوجتنا والمسلمين أجمعين.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم
